

# فلسفة التاريخ

## صراة وحبيل

### ١ - تفسير التاريخ لاهوتياً

اناطول : ان كتابك العظيم يا عزيزي ارويه ( فولتير ) « ملخص في الاخلاق » والمبادئ التي تكوّن التاريخ من عهد شارلمان الى عهد لويس الثالث عشر، هو آية تآليفك ، وهو جدير بعنوانه . فقد اضرمت ثورة عظيمة بكتاباتك التاريخية فولتير : لست الاول في ذلك ، فقد اعدّ لي الطريق بوصويه بكتابه « التاريخ العام » . ولم يكن التاريخ الا اقايص منشورة من قبل . فهل يشرف الاسقف اسماعنا بعضة « في التاريخ » ، متصوراً انه يلقها في سراي لويس الرابع عشر ؟

بوصويه : ايها السادة ، اتم جماعة من « المرتابين » . فأخاف ان تضحكوا من شيخ يؤمن بالله الاب ، وبأن التاريخ مظهر العناية الالهية . فقد رمت ان أعلم ولي العهد معنى التاريخ ، فكتبت له كتاباً ، قصدت به ان يكون لكل الامم ، في كل المصور ، مانكونه الخريطة الجغرافية للقارات والبحار والدول . ورميت فيه الى تبيان علاقة كل قسم من التاريخ بالكل اناطول : مقصد جليل ، واذا تم فهو فلسفة مكملة

بوصويه : التاريخ ، عندي ، رواية ارادة الله المقدسة . وكل حادث فيه هو درس تلميه السماء على الناس . فأندرت لويس الخامس عشر ان الله اعدّ النورات ليعلم الامراء النواضع اناطول : اذاً يا سيدي الاسقف المحترم ، قد ذكرتني « برنردن دي سان بير » الصالح ، الذي رأى ان البطيخة الصفراء خلقت مقسمة لان الطبيعة ارادت ان تشترك العائلة في اقتسامها . فأؤكد لك ان تلميدك الملكي ، صار رذيلاً ، لا يصلح لشيء ، كثير الخليلات ، يخزي وجوه الفقراء ، ومع ذلك فقد بلغ من العمر عتياً . وكان خلفه لويس السادس عشر عفيفاً فاضلاً ، افرغ الوسع في خدمة الوطن ومنع الشرور والبؤس ، فأطبخ رأسه بالنطع سنة ١٧٩٢

بوصويه : ان طريقه تعالى تفوق افهامنا ، ولكن علينا ان نتق به جلّ وعلا اناطول : على أبي احترم في كتابك كشفك عن اسرار حمة ، تخلق حواء وكوارث شعب الله المختار ، فأتأسف لما فاتني معرفته ، وفات العالم تيقنه ، وخفاء كثير مما كان وانحأفصرنا نجهله بكل : وقد أُعجبت كثيراً بمعرفة الاسقف بالتابع التاريخي . فقد عرفت منه تاريخ

مقتل هايل ، والطوفان ، ودعوة ابراهيم . وليس لذلك دليل مثبت في كل مكتبتني

كارليل : محتمل ما تقوله ياسيدي محتمل

انا طول : مع ذلك انا مدين لكم ديناً عظيماً يا صاحب النيافة، بردكم التاريخ الى ارادة الله. فعلمت تلميذك العاجز ان ارادة الله تستخدم وسائط وأسباباً قانونية طبيعية . وعلى المؤرخ استجلاء، تلك الوسائط والاسباب العاملة في ترسيخ دعائم المدن والدول المتتالية. وليس بالامر الزهيد اراد فلسفة للتاريخ بهذا القدر من الوضوح، فيكاد لا يبقى لخصمك قولتير موطنى. قدم قولتير: ولقد منحتني شرفاً عظيماً أنساني خدمات « جيوفاني بتستا فيكو » فانا آسف لعدم مكنتي من زيارة ايطاليا في شبابي لمحادثة ذلك العالم الايطالي الخبير ولعل المستر بكل يحدتنا عنه شيئاً بكل : انه في منتصف الطريق بينك وبين الاسقف مذهباً وزمنياً . فيعترف بالعناية الكلية القدرة والوجود . ولكنه مع هذا الخضوع الف كتاب ( العلم الطبيعي الجديد ) على اساس علماني محض وقضايا نفسه لماذا لا يكون علم للتاريخ كما هناك علوم لاسائر الامور؟ وصرح بأنه قد توجد نواميس صدقها على اطوار الهيئة الاجتماعية كصدق نواميس نيوتن في حركات الطبيعة القريبة انا طول : مسكين نيوتن ، يجب ان اخبره عن « اينشتين » . تفضل كمثل حديثك يا سيور بكل : فقد ظهر « افيكو » ان في التاريخ اتساقاً . وعنده ان الثقافة عموماً مرت عليها ثلاثة اطوار هيغل : ثلاثة اطوار ؟ انها براعة منه اذ سبقني الى ذلك

بكل : الاول : الطور الهمجي ، وفيه المقام الاول للشعور. الثاني : طور البداوة ، وفيه خلقت المعرفة التصورية « هوميرس » و « دانتي » وأوجدت الابطال (الجيابرة) . الثالث : الطور المدني ، وفيه ابرزت المعرفة الشرائع والدول العلوم . ويتيقن فيكو ان الدول الرومانية شادت اسمى ذرى التمدن فدكها البرابرة بالقوة البهيمية ، وبجيوش لا يحصى عددها ، هبطت على شعب مترّف ، هو دونها عدداً . هكذا كل ثقافة في المستقبل تنهض للفلسفة والشعر ، ثم تهوي من حلق بقوة شعب لا يزال على الفطرة ولم يخضع للشعور والتفكير. ورأى فيكو في السياسة نتيجة مماثل ذلك . تلد الهمجية رؤساء يصيرون ارسقراطيين. ولكن استبداد الارسقراطية واثرها يفضيان الى الثورة والديمقراطية . واختلال الديمقراطية وفقد الوازع فيها يجتبان عودة الهمجية . فشعار التاريخ « عود على بدء » انا طول : الفلاسفة اجمعون بؤساء . والتفكير بلاء جسيم . وقد حسب الاقدمون اختراق حجب النيب ، والكشف عن اسرار المستقبل ، اعظم المواهب اضراراً بأربابها وأنت انت ، يا مسيو ارويه (قولتير) ، لم ترض عن النتائج التي بلغتها في ختام تاريخك قولتير : كنت اعالج عصرأ بهيميأ . فتغلقت في مشهد الثورات الشاسع ، التي نشبت

من عهد شارلمان الى عهد لويس الثالث عشر . ومتجهها كلها الى الدمار والهلاك . فكانت كل حادثة تاريخية كارثة كبرى . وقد يكون الخطأ راجعاً للمصادر التي اعتمدها . فلم يحفظ المؤرخون اخبار السلم والطمانينة ، بل اقتصروا على تسجيل الدمار والنكبات . فظهر التاريخ مجموعة صور جرائم وكوارث ليس الا ، تثيرها خرافات سخيفة وعادات جهولة وانفجارات فجائية للقوة البهيمية . وقلماً رأيت ذهناً انسانياً يمثل في الحوادث دوراً مهماً ، بل على الضد من ذلك ظهر لي ان اصغر الاسباب وأحقرها يؤدي الى اعظمها ايلاًماً وحزناً . ولم ارَ للعناية من اثر الاتفاقاً

بشكل : لم يكن تلميذك «تورغو» كثير التشاؤم ، وانك لتذكر انه وصف تاريخ التمدن وأعرب عن ايمانه بتقدم العقل الانساني في سلسلة محاضراته التي القاها في الصور بون سنة ١٧٥٠ قولتير : يسرني ياسيدي ان أحسن القول فيه . فقد احببته ، وانكسر قلبي لما طرده الملك من وزارة المالية . اما فكرة التقدم فكانت شائعة في عصري ، واستثارت بنوع خاص ، صديقي الشاب المريكز كوندريسيه ، لما كان التمدن الفرنسي مهدماً . ولكن تورغو كان مصيباً ، فان التاريخ لا يطاق الا اذا روى اخبار التمدن . فالفلاسفة ، دون غيرهم ، يجب ان يكتبوا التاريخ . لانهم يعرفون ان يفصلوا بين الصغائر والكبائر في مباحثهم . فيعرضوا عما يؤدي الى العبث ، وهو في التاريخ كالا حمال التي تثقل كواهل الحيوش . انهم يحرصون نظرهم في الاشياء العظيمة فان تقدم التنوير العقلي ، والنجاح المادي ، والسمو الادبي ، امور ليست هي عنوان تاريخ الامة فقط ، بل البانية لذلك التاريخ . اما مدونات الحوادث الاخرى فلا قيمة صحيحة لها ، الا باعتبار ما تلقي من النور على التقدم الاقتصادي والعقلي والادبي . لذلك كان غرضي في كتابة «ماخص الاخلاق» اكتشاف تاريخ العقل الانساني ، رامياً الى تعقب خطوات الناس من الهمجية الى التمدن

انا طول : قد وصفت تاريخ التصور يا استاذ رصفاً عادلاً . واني لمعجب بالعصر الذي ابرز كتابك هذا وكتاب مونتسكيه «روح الشرائع» ، ومجلدات جيون الفصيحة . فأنتم الاولى حرروا التاريخ من اللاهوت ، ووهبوه للفلسفة والعلم . وحين افكر ان جنسنا ، تسلق سلم الثقافة والحكمة اربع مرات — في عهد «سقراط» ، وعصر «هوراس» ، وعصر «رابليه» ، وفي عصركم الخاص الذي يجب ان يحمل اسمكم — حين افكر في ذلك — اتعزى نوعاً عن الحروب والفضائح والكوارث والمظالم التاريخية ، فانما يزكي التاريخ نوابغه

٢ — تفسيره جغرافياً

بشكل : يسرني ياسيدي ذكرك «مونتسكيه» . لا تاخى الساعة انما تكلمنا في كتابة

التاريخ . ولم تنظر في العوامل التي يُعزى إليها قيام الامم وهبوطها . فبعد ما نقلنا التاريخ من السماء الى الارض ، ومن الملوك الى الانسانية ، ومن الحروب الى الحضارة ، بقي علينا ان نسأل ما هي العوامل الجازمة فيه ، اعبقرية الرجال هي ، كما في قولك الاخير ؟ ام قوة المعارف المتجمعة والمتوارثة ؟ ام اختراعات العلماء والفنيين ؟ ام دم الجنس المتفوق ؟ ام خصائص الاقليم وحال الجغرافية والتربة ؟ فان مونتسكيه يستحق الثناء لانه اول من بحث عن عوامل خاصة لهوض الامم وسقوطها

مونتسكيه : انه لطف عظيم منكم ان تذكروني . واخاف ان مواطنيك ، يامسيو بسكل ، يذكروني اكثر من مواطني . فانه حتى فولتير الكريم لم يعرف تأليفي التفاتاً كبيراً  
فولتير : الى اليوم يامسيو يشق علي ان اغتفر لك المميتك في « رسائل باريسية » وسعة اطلاعك في « روح الشرائع »

مونتسكيه : اني اعرف ذلك ، فأعظم الرجال يتصرفون ، الواحد مع اخيه ، تصرف صفارة . فقد اشار معاصري الى كتابي الاول والثاني ، « رسائل باريسية » ونظرات في « اسباب نهوض الرومان وهبوطهم » كأن الاول هو سبب عظمة مونتسكيه والثاني سبب سقوطه ، مؤثرين النهك على الفاسفة . وقد اتفق فريق من العلماء على نصحي بأني لا اطبع « روح الشرائع » . وبالاختصار كنت مشهوراً جداً في انكلترا ، وعلى نقض ذلك في بلدي بسكل : اني اعتبر « روح الشرائع » ابلغ ما اتج الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر . وقد كنت اول من ابان ان الشخصيات لا يعول عليها في التاريخ ، وان الحوادث الفردية — حتى المعارك العظمى كعركتي فيليبي واكتيوم — ليست اسباب ارتفاع الامم او هبوطها . وعلمتنا ان افراد العظماء وجسام الحوادث ، انما هي رموز ونتائج الاعمال الواسعة الدائمة ، غير الشخصية كشكل الارض ودرجة حرارة الهواء

مونتسكيه : كتب « هيبوقراط » في القرن الرابع ق . م . كتاباً سماه « الرياح والمياه والاقليم » ، ذكر فيه ، مختصراً ، ما يحدثه المحيط الجغرافي من التأثير في بناء الامة الطبيعي ، ودستور الدولة الشرعي . ونسب « ارسطو » نجاح اليونان وتفوقهم العقلي ، الى اقليمهم « المتوسط » ومع اني لا اظن انه يجوز وصف درجة الحرارة في ائينا بـ « اقليم متوسط » اناطول : ورجل آخر من سابقك في هذا الميدان ، هو « بودان » الذي كتب في القرن السادس عشر في الملاقة بين الجغرافية والشجاعة والذكاء والاساليب والادب . حتى العذارى يختلف جهن باختلاف مواقع بلادهن  
مونتسكيه : ومن الخطأ الظن اني ارجع بالتاريخ الى الجغرافية . فهناك اسباب حجة

برهنت على أنها الحاسمة في متنوع الامم . ففي بعضها كانت « الشرائع » هي السبب ، وفي اخرى « الديانة » ، وفي غيرها « العادات والآداب » ، وفي غيرها « الطبيعة والاقليم » . وهذه الاخيرة تتحكم في الامم الهمجية فقط . والعادات في الصينيين ، والشرائع في اليابانيين ، والآداب في الاسبرطيين . اما قواعد الحكومة وبساطة الاساليب القديمة فتعين الى امد بعيد ، خلق الرومانيين

بشكل : ولكن اعظم ما أثر في من كتابك هو بحثك في الاقليم والتاريخ مونتسكيه : اعترف لك انه قد أثر في انا ايضاً . فاني اؤمن ان لاختلاف الطباع وللصفات ، أثراً في رفعة الامم ، تتوقف الى حد بعيد على تأثير الاقليم . ففي المناطق الباردة يميل الشعب الى الاتصاف بالقوة ، وفي المناطق الحارة الى الكسل . هذا امر زهيد ولكن انظر ما أثمر من العواقب . فان الهنود يحسبون الراحة والعدم اصل كل الاشياء ، والغاية العظمى التي اليها ينتهون . فيحسبون البطالة اكمل الحالات ، او غاية الغايات . فالكسل خيرهم الاعظم ، وهو يؤلف في فكرهم خلاصة السعادة الحيوية . . فنتج عن هذه الفكرة القديمة في كل مكان ، ان الكسل شعار الدولة الفضلى . وان الذين لا يعملون شيئاً هم سادة العمال . ولذا يتركون اظافرهم تنمو ، ايراها الناس فيحسبونهم من غير العمال ولماذا ترى مصيرام الجنوب الى الخذلان امام الامم الشمالية ؟ أليس ذلك لأن الاقليم الشمالي ينشط الجسم والجنوب يخمله ، فالعبيد يردون من الجنوب ، والسادة من الشمال . وقد استعبد برابرة الشمال آسيا احدى عشرة مرة

قولتير : وقد تعلم يا مسيو ان كلمة عبد ( سلايف ) مشتقة من « السلاف » . ويرجع عهدا الى حين انكرت الكنيسة ، امنا المقدسة ، استعباد المسيحيين . وكان السلاف لم يهدوا بعد الى الايمان ، فكانوا يصادون ويبيعون براحة ضمير . وهكذا تحوالت الكلمة من افادة المجد الى افادة الاستعباد . فهؤلاء العبيد الشماليون مستثنون من كلتك . على انهم طائفة زهيدة من العبدان

مونتسكيه : احسنت جداً في اصلاح خطاي . لكنني فهمت يا مسيو بشكل انك درست علاقة الاقليم بالتاريخ درساً وافياً

بشكل : لم امعن في درسه . فقد كنت نصف ميت لما ولدتني امي . ولازمي الضعف في حدائتي فلم اشرك الاحداث في العالهم . ولما كنت في الاربعين لم اعرف يوماً واحداً خلواً من المرض والالم . اذلني في صغري ، ضعف البصر ، فعلمتني امي شغل الابرة بدلاً من القراءة ، وذلك عملاً بالجهل المتحكم في عصري . فبلغت الثامنة امياً

كارليل : زه زه ، يا رجل . كلُّ يعلم انك كنت في سن الاربعين قطب علماء انكلترا الاوحد. فقد اخبرني هكسلي انك لم تتمكن من حمل رأسك لكثرة ما ملأته . لانك حصلت اللغات الفرنسية والالمانية والداعركية والايطالية والاسبانية والبرتوغالية والهولاندية والوالوانية والفلمنكية والاسوجية والايسلاندية والروسية والعبرانية واللاتينية واليونانية والبربرية والمراكشية . وفوق ذلك انت كاتب بالانكليزية نعم كاتب . وقد سمعت دارون يقول ان اسلوبك افضل ماقرأ . اني مرتاب في حكمه ولكنني احب الحواشي التي تعلقها في اسفل الصفحات بكل : حلمت بتأليف تاريخ كامل للتمدن في انكلترا . وبعد اشتغال عشرين سنة انجزت اربعة مجلدات هي مقدمته فقط . ثم توفيت امي فتوقفت عن العمل ، ولو كنت قوي البنية لأكملته مونتسكيه : الا تفضل بذكر ما ادركت من النتائج ؟

بكل : قد بحث الاقتصادي البلجيكي (كوتله) بحثاً احصائياً في اعمال اختيارية كالزواج ، وفي امور عرضية طفيفة كلقاء الخطابات في صندوق البريد من دون عنوان . فمن مواد كهذه ، ومن امثالها ، استنتجت ان التصرف الانساني ، وان ظهر حرراً في تفصيلاته الفردية يبدو محكوماً ، اذا نظرنا اليه في الجمهور ، بموامل هي فوق حول الفرد . فليس لمزايا الافراد شأن كبير في سير المصالح الانسانية الكبرى ، ولا شأن للمؤرخين بها . لان التقدم لا يتوقف عليها بل على حشد المعارف وتوزيعها . فاني لم الاحظ تقدماً في الآداب ، ولا ارتقاءً مطرداً في العواطف الانسانية . فالعلم الطبيعي وحده ينمو ، ويغير وجه الارض

مونتسكيه : نتيجة معقولة للماية . سمعتها من فونتينيل الشيخ

بكل : انا نظيرك يا سيدي ارى في الجغرافية والاقليم والطعام والتربة ، وفي حال الطبيعة العام ، تأثيراً كبيراً في التاريخ . فنناظر الهند الجليلة الرائعة تغلبت على عقل الهندي وشجاعته ، فمال الى الخرافات وعبادة الطبيعة . اما منظر اوربا فترك الانسان حرراً ، فمما فيه الميل الى التحكم في الطبيعة بدل عبادتها

اناطول : يظهر انك يا مسيو بكل لم تعبر الا تلتيني . فان هنود اميركا الشمالية تقدموا تقدماً ، لم يسبق له نظير ، في العلوم الطبيعية والتطبيقية مع العكف على التقوى . ولو انك فعلت لآثار هؤلاء الاميركيون اهتمامك

بكل : لم استطع ان اخصص وقتاً لهذه السياحة ولا شجعتني كتابات « ديكنز » على ركوب غاربها . على اني قرأت تاريخ اميركا بامعان فاكتشفت في نصف الكرة الغربي من الاحوال والجغرافية ما يثير العجب . فالشطوط الغربية الواقعة الى الشمال من مكسيكو حارة جافة ، والشرقية رطبة معتدلة . لذلك انحصر التمدن الاميركي ، قبل كولمبوس ، في المكسيك

وامريكا الوسطى . حيث توجد منطقة ضيقة حبتها الطبيعة الحرارة والرطوبة الضرورين  
لحياة النبات والحيوان والانسان . ولما وصلها الاوريون ، واذاعوا الاختراعات الكثيرة فيها ،  
قل اعتماد سكانها على الاحوال الطبيعية

مونتسكيه : فانت تحصر تأثير الجغرافية في العصور الاولى

بكل : متى زادت سيادة الانسان على المحيط ضؤل اثر الاحوال الطبيعية في مصيره  
وليم جيمس : يسرني قولك هذا لاني كنت خائفاً ان تردنا لحكم الطول والعرض الجغرافيين .  
وهل تعلم ان تفسير التاريخ تفسيراً جغرافياً قد طبقه فردريك رزل على الدول الراقية  
بكل : ارغب في معرفة احدث الآراء بهذا الشأن

رزل : قد غالى فيلسوف اميركا العظيم بمقامي . فان تأليني قسم صغير من دروس  
عصري الجغرافية . ان رتر ، وكوهل ، وبشل ، وركلس ، اساتذة هذا الميدان . وقد  
بحث الاستاذ هنتنغتن ، في بلدكم يا دكتور جيمس ، ابحاثاً جلية في هذا الشأن

وليم جيمس : قل لنا ماذا وجدت يا مستر رزل ؟

رزل : انما نعدل ، تعديلاً طفيفاً ، النتائج التي توصلت اليها مع مسيو مونتسكيه ، في  
امر الاقليم . فان صعوبة الحياة في المناطق الاستوائية لا تعود الى الحر بل الى الاخطار ،  
كالزلازل والابوثة والعواصف والضواري والبعوض والبق . وينفذ اعتدال الحرارة في الاقاليم  
المعتدلة ، فيأذن بالحياة خارج البيوت ، فتنشأ المعاشرة والاختلاط الجنسي ويتلو ذلك الميل  
الى الثقافة والفن . اما في المناطق الشمالية الباردة حيث الصناعة والتجارة دائرة الدواليب فالعمل  
والاثراء يفضيان الى ترقية العلم بدلاً من الفن . والمزاحمة التي لاتلين تنشيء فلسفة « فردية » قاسية

ماركس : سأريكم ان كل ما عزوتموه الى الاقليم يرجع الى العوامل الاقتصادية

رزل : وقد يكون للاقليم يد في تحديد القامة والملاخ ايضاً . فقد روى كثيرون ان الاميركين  
اخذوا يكتسبون اللون النحاسي كاسلافهم الهنود . وابلان الاستاذ « بواز » ان الاقليم  
الاميركي ، مع صرف النظر عن الاختلاط بالزواج ، يميل الى تعديل قامات المهاجرين . ورؤوسهم  
تتجه الى شكل الرأس الاميركي ، والاستاذ هنتنغتن جاد في آثار البرنس كروبتكن

اناطول : هو قديس الفوضويين . وانا اعرفه جيداً

رزل : ابان الاستاذ هنتنغتن ان مقدار المطر يعين مصير الامم . فجناف قمر البحيرات

يكشف عن السر في المهاجرات

وايم جيمس : ولعلكم تتعقبون الهجرات والفتوحات والمهاجرة وقيام الامبراطوريات

وانحطاطها الى دورات الكلف الشمسية !

رتزل : كل شيء ممكن . تأمل تأثير الانهار ، كالنيل والكنج وهوانو وينغزوي والدجلة والفرات والتير وابو والدانوب والرين والالب والسين والتمس والهدسن وسنت لورنس والمسسي ، فطلى ضفافها المثمرة استقرت قواعد كل مدن . والدانوب—آه ياسادني لو ان الدانوب يتكلم— كم من الحوادث كان يروي لكم عن الشعوب التي ظهرت على ضفافه . ولوجرت انهار روسيا شمالاً عوض جريها جنوباً فهل تظنون ان روسيا كانت تزو الى القسطنطينية وتحارب في سبيلها حرباً بعد حرب الجريان انهارها الى قزوين والبحر الاسود حول نظرها جنوباً، فقادها نهر الدنيير الى القسطنطينية ونهر الفولكا الى آسيا. ولم تلتفت الى الغرب حتى اختط بطرس الكبير مدينة بطرسبرج، وفتح نهر نيغا للملاحة فصارت روسيا قسماً من اوربا بكل : طيب جداً يا استاذ . امض في يانك

رتزل : تأملوا الدور الخطير الذي مثله سكان الشواطىء في التاريخ. فقد طوق البحر المتوسط اثنتي عشرة حضارة حتى حول الاتلتيكي اوربا الى اميركا، ووجه طريق التجارة وجهة اخرى هيفل: ذكرت في كتابي «فلسفة التاريخ» الذي لم تذكره بعد انه يستحيل تصور التاريخ القديم بدون البحر المتوسط . فانه كروميا القديمة بدون الفوروم الذي التفتت حوله حياة المدينة كلها رتزل : اذكر الشاهد جيداً يا دكتور . فان شطوط اليونان الطويلة المكسرة وكثرة جزاؤها اتاحت لها طريقاً الى الفرس والشرق، وجعلتها محور التجارة في البحر المتوسط . وقد انقص ثروة آسيا ضعف النسبة بين شطوطها وفلواتها الواسعة، بتضييقه لنطاق التبادل. ومثل ذلك يصيب افريقية اليوم. ولولم تقرب الانهار وسكك الحديد داخلية الولايات المتحدة من البحر لظلت متأخرة لسعة امتدادها بين المحيطين

اناطول : لقد حاربت روسيا لاجل نهر على الباطيك ، وجرمانيا لاجل مصب الرين، وفرنسا لاجل الرين كله، والنمسا لاجل تريستا وفيومي، وانكلترا لاجل العالم اجمع، وأميركا لاجل الديموقراطية. مع ذلك اميل الى الظن بانك قد غاليت في تأثير الجغرافية، فتمت اعتبارات اخرى ليست اقل شأناً، وأخاف ان تكون حياة الامة ورفعتها قد افلتت من قاعدتك. فقد نشأت الامم العظيمة في كل اقسام الدنيا. وكان لها في اقاليمها المتباينة الاوصاف احوال متماثلة صعوداً وهبوطاً رتزل : لا تخطئي يا سيدي . فلم ارم الى تفسير كل شيء بالتاريخ الى الجغرافية، بل بمضه بكل : للعوامل الجغرافية أثر محدود ولكنها لا تكون قط قوة حاسمة. فتحول خليج مكسيكو يدمر انكلترا. على ان هذا الخليج لم يمنع انكلترا عظمها. فالعوامل الحاسمة في مدن كل امة ، هي العوامل العقلية والاقتصادية فولتير : حكم معقول